Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا كان الشعر فى الوطن العربىِّ أبا الفنون كلها، مثلما كان المسرح فى الثقافة الغربية، فإنه كان أباً ديكتاتورياً، متسلطاً، لم يسمح لغيره من الفنون بالتنفس الحر والنمو المستقل، احتكر الميدان وأصر على القيام بجميع الأدوار، نفى السردَ إلى هامش الحياة الثقافية، وطاردَ الملحمة إلى الأركان الشعبية، وتحالفَ مع السلطة ضد رعيته حرض الحكام على أبنائه حتى لا يعيش القصر إلا فى القصيدة، ولا يتجلى الرسم إلا بالكلمات، ولا يعترف بالموسيقى ما لم تكن غناءً له وانبثاقاً منه، أصرَّ على أن يكون "الديوان" الوحيد للعرب، فاضطهد إخوته الأشقاء، واستأثر بحنان أمه اللغة، وحاول أن يصبح كل شئ فى تاريخ العائلة الفنية، أو لنقل على أقل تقدير إن العائلة قد تنازلت له عن ميراثها بأكلمه واكتفت بمواقع هامشية، لهذا فإن خطاب النهضة يتجلى أولاً فى اعتراف الشعر بمنظومة الفنون ورد الاعتبار إليها، وقد التقى فى ذلك بلحظة تاريخية حاسمة، عندما استطاع العلم أن يقرأ طبقات الأرض، ويفك شفرة الآثار، ويُعيد بناء العمارة التاريخية ؛ إذ إن هناك بُعْدَيْن أساسيين فى جميع الآثار هما التاريخ والفن : فهى من ناحيةٍ علامةُ حضور الحضارات القديمة فى قلب الواقع المعاصر، بحيث تعتبر ذاكرة المكان، ورحلة الماضى إلى الحاضر، لكنها من ناحيةً أخرى من أهم مظاهر عبقرية الإنسان فى تحديها للزمن وتطويعها للمادة وتحقيقها لعمليات الخلق والإبداع، فالآثار إذن تاريخ وفن، مما يجعل رؤية الشعر لها قراءةً فى التاريخ ومطارحة الفن للفن.

ومنذ مائة عام تقريباً، على وجه التحديد سنة ١٨٩٤، ألقى شوقى فى المؤتمر الشرقىِّ الدولىِّ الذى عقد فى مدينة جنيف، مطولته التى اتخذت عنوان : "كبار الحوادث فى وادى النيل" وفيها يتحدث لأول مرة عن حكمة التاريخ ودلالة الآثار وروعة الفنون، لكننا سنورد منها فحسب الأبياتَ القليلة التى يفخر فيها فن الشعر ويحتفى بفن العمارة حيث يقول :

قُل لبان بنى فشاد فغالى ... لم يَجُزْ مصرَ فى الزمان بناءُ

ليس فى الممكنات أن تنقل الأجبا ... ل شمّا، وأن تنال السماءُ

أجفل الجنُّ عن عزائم فرعو ... ن ودانت لبأسها الآناءُ